المحاضرة الأولى؛

مدخل اصطلاحي (مفهوم الكلمة(اللفظة) و المفردة عند القدماء والمحدثين)

لقد تناول النحاة واللغويون العرب والغرب عدة قضايا لغوية ومن بينها قضية "**الكلمة**" التي درست من عدة جوانب بالإضافة إلى أنها تتميز بقيمة رمزية في المجال اللساني، فهي من جهة مفهوم بديهي ومن جهة أخرى مفهوم صعب التحديد، وبما أن الكلمة ثمار جدل بين القدامى والمحدثين

الكلمة عند قدماء العرب

تشكل الكلمة اللبنة الأساس التي يعتمدها الكاتب والناطق في هندسة الكلام وبنائه ؛ أي إنشاء الجمل التي يتم بوساطتها التواصل والتفاهم بين أفراد المجتمع الواحد . وقد تذهب الكلمة بأداء دورٍ أبعد من هذا , إذ كانت تستعمل في العبارات , والتقديس وفي ذلك يقول ابن منظور (711 هـ) " إن للكلمات أعمالاً عظيمة تتعلق بأبواب جليلة من أنواع المعالجات وأوضاع الطلسمات , ولها نفع شريف بطبائعها , ولها خصوصية بالأفلاك المقدسة ... ومنافع لا يحصيها من يصفها[1]. لهذا كله انفردت الكلمة باهتمام خاص من علماء اللغة قديماً وحديثا.

1.الكلمة عند العرب القدامى

وقد عرّف النحاة العرب، الكلمة تعريفات من نوع "هي القول الدال على معنى مفرد"[2] أو كما عرفها ابن هشام باختصار"هي قول مفرد "[3] معتمدا على أن "القول" هو لفظ دال على معنى حسب تعريفهم له. ولكن حتى يصدق على القول أنه كلمة يشترط أن يكون معناه مفردا أي غير قابل للتجزئة، فالأقوال: [طالب، أنَا، قادِم، مِنْ، مُحمَّد...] يعد كل منها كلمة، بينما الأقوال: [أنا قادم، طالبُ العلمِ، مِنْهُ...] ليست كلمات بل هي مركبات... أما في مثل قولنا "ألقى العميد كلمة الافتتاح " فـ" الكلمة" استعملت بمعنى "الكلام"

1.ابن منظور،لسان العرب،مادة(ك.ل.م)

2.حاشية الصبان على شرح الأشمولي،ج1،ص28

3.المصدر نفسه، ص29

وقد أشار بعض العلماء إلى استعمال الكلمة في المعنى المجازي اللغوي من باب"تسمية الشيء باسم بعضه كتسميتهم ربيئة القوم عينا،والبيت من الشعر قافية،لاشتماله عليها وهو مجاز مهمل في عرف النحاة" [3] أي "أنهم لا يستعملون الكلمة بمعنى الكلام أصلا"[4] ومن ثم اعترضوا علة ابن مالك حينما قال في ألفيته"وكلمة بها كلام قد يؤم"وعدوه من أمراض الألفية التي لا دواء لها"[5]

وقد ذكر الشنواني أن الكلمة تطلق لغة واصطلاحا مجازا على الكلام وحقيقة على المفرد" [6]وهي دعوى تحتاج إلى دليل من استعمالات النحاة.

ويظهر من ابن الخشاب(567هـ)ذهابه إلى استعمال الكلمة في المعنى الأول مجاز لغوي أيضا،إذ قال قال:"أما الكلمة فمنطقة في أصل الوضع على الجزء الواحد من الكلم الثلاث" أي:الاسم والفعل،والحرف،وهي الألفاظ الدالة على معنى،فيكون إطلاقها على أحد حروف الهجاء مجازا،من باب تسمية الجزء باسم الكل،كإطلاق اليد على الإصبع.وعليه يكون المعنى الحقيقي للكلمة لغة هو لغة هو المعنى الثاني فقط،وهو الموافق لمعناها الاصطلاحي". [7]

2.لغات الكلمة:

في الكلمة ثلاث لغات[8]

الأولى:كلمة،على وزن نبقة،وهي الفصحى ولغة أهل الحجاز ،وبها جاء التنزيل

الثانية:كلمة ،على وزن سدرة،وهي لغة تميم،دون نسبة،ثم نسبها ابن هشام [9]

الثالثة:كلمة،على وزن ضربة ،وأول من نص على هذه اللغة الجوهري [10]

4،ابن هشام الأنصاري،شرح شذوذ الذهب،ته:حنا الفاخوري،دار الجيل،ط1،ص15

5.جلال الدين السيوطي،جمع الهوامع،تح:عبد العال سالم،دار الجيل،ج1،ص6

6.ابن خشاب،المرتجل،تح محمد عوض،عالم الكتب،ص21

7.المصدر نفسه،ص23

8.الجوهري،صحاح اللغة مادة كلم ،ص27

9.المصدر نفسه،مادة كلم

10.ابن يعيش،شرح المفصل،تح:يوسف حسن عمر،ج1،عالم الكتب،بيروت،ص2

3.اشتقاق الكلمة:

ذكر بعض العلماء أن الكلمة"مشتقة لغة من الكلم،وهو الجرح،لتأثيرها في النفس[11]وقال الرضى:"هو اشتقاق بعيد لبعد المسافة اللغوية التي يتوقف عليها الاشتقاق بين المشتقين"[12] أمّا ابن فارس فقد أوضح أن"الكاف واللام والميم أصلان،أحدهما يدل على نطق مفهم،والآخر على جراح "[13]

4.الكلمة اصطلاحا:

أقدم ما تسنى العثور عليه من تعريفات الكلمة اصطلاحا قول الزمخشري(538هـ) قوله:"الكلمة هي اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع"[14] وتابعه عليه المطرزي(610هـ) وممّا قاله ابن يعيش في شرح هذا التعريف:"فاللفظة جنس للكلمة،وذلك لأنها تشمل المهمل والمستعمل "[15]

وقد عرفها ابن الخشاب (567هـ)بأنّها "اللفظة المفردة"[16] وواضح أن عدم تقييد اللفظة بالمستعملة أو الدالة على معنى يجعل تعريفها غير مانع من دخول الألفاظ المهملة.

أمّا ابن الحاجب(646هـ) فقد عرفها بما يشابه تعريف الزمخشري بقوله:"الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد[17] ممّا ذكره الرضى(686هـ)في شرحه هذا التعريف:أن(اللفظ)المأخوذة جنا فيه،هو أيضا"قيد احترازي عن نحو الخط والعقد والنصبة" [18]

---

11 .ابن هشام،شؤح شذوذ الذهب،ج1،ص206

12. ابن مالك الأندلسي ،شرح الكافية،تح:عبد المنعم هريدي،دار الجيل،ص29

13.المصدر نفسه،ص 30

14.أبو الفتح المطرزي،المفتاح في علم النحو،عالم الكتب،ص234

15. ابن يعيش،شرح المفصل،تح:يوسف حسن عمر،ج1،ص7

16. ابن خشاب،المرتجل،تح محمد عوض،ص 29

17.شرح الرضى على الكافية،ج1،ص19

18.شرح ابن عقيل على الألفية،ج1،ص15

وللإشارة،فإنها ربما دلت بالوضع على معنى مفردة،ليت بكلمات.ويجوز الاحتراز بالجن أيضا،إذا كان أخص من الفصل بوجه،لأن الموضوع للمعنى المفرد قد يكون لفظا،وقد لا يكون

وعرفها ابن معطى(628ه)بأنها"اللفظ الدال على معنى مفرد"[19] وهو لا يختلف عن تعريف الرضى أما ابن مالك(672ه) فقد عرفها بتعريف لا يخلو من التعقيد حيث قال:الكلمة لفظ مستقل دال بالوضع تحقيقا أو تقديرا"[20] و تنقسم الكلمة عند سبويه (ت. 180ه) إلى أجزاء الكلام مباشرة، فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، وقد نظر إلى الكلمة من الجانب النحوي والوظيفية.

4.الكلمة عند أصحاب المعاجم العربية القديمة:

لقد أدرك أصحاب المعاجم العربية القديمة من خلال ترتيبهم للمعاجم أن الكلمة تتكون من الجانب الصوتي والجانب الدلالي لذا تم ترتيب معاجمهم إمّا على اللفظ أو على المعنى، ونتج عن ذلك نوعان رئيسيان المعاجم هما: معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني.

وقد ر تبت معاجم الألفاظ بطرق مختلفة، وكانت على ثلاثة اتجاهات رئيسية تمثلت في طريقة

– الترتيب المخرجي؛ ترتيب الكلمات تحت حرفها الأول حسب المخرج معجم العين للخليل أحمد الفراهيدي (ت. 175ه)

–طريقة الألفائي

– طريقة الترتيب حسب الأبنية والصيغ

أمّا معاجم المعاني فقد رتبت حسب الموضوعات فقط، وقد انصب اهتمام المعجميين العرب القدامى علىّ أم ا الجانب الصوتي فكان خاصة من اهتماماتّ الجانب الداللي كونه الهدف النهائي من صناعة المعاجم، أم الخليل ومن حذا حذوه مثل الأزهري (ت.276ه) في التهذيب وابن السيدة (ت.458ه) في المحكم.

19. ابن المعطى ،الفصول الخمسون،تح:محمود محمد الطناحي،عيسى البابي الحلبي وشركاؤه،مصر،ص31

21.ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد،تح:محمد كامل بركات،عالم الكتب،لبنان،ص3

وقد ميّز الخليل بعد الحصر النظري للكلمات بين المستعمل والمهمل و "يكاد مفهوم المستعمل عنده بصوره المختلفة ينطلق مع مفهوم المورفيم الحر عند المحدثين، باعتبار المورفيم أصغر وحدة لغوية ذات معنى"[21]

وعليه فالكلمة عند نحاة العرب عبارة عن صوتين (صائت وصامت) متحرك وساكن، وتدل على معنى مستقل مفرد، ويرتكز تصورهم للكلمة على أصول ثلاثة هي: الصوت والاستقلال في الدلالة المفردة أو الجزئية إلا أن هذا التصور في نظر حلمي خليل وإن كان يتفق في بعض جوانبه مع ما ذهب إليه علماء ، اللغة المحدثين، إلاّ أن هناك جوانب أخرى مهمة أهملها القدماء في تعريفهم للكلمة، ويجملها حلمي خليل فيما يلي:

–لم يفرق اللغويون العرب القدامى بين الصوت والحرف واعتبروها شيئا واحدا، عدم التمييز بين الجانب الصوتي والجانب الوظيفي

–الخلط بين الدلالة الوظيفية للكلمة ووظيفتها الاجتماعية رغم إدراكهم التام لكل منهما

– لم ينظروا إلى الكلمة أن تقتضيها معاني النحو.[22]

5. الكلمة عند اللغويين المحدثين

علماء اللغة ولفت تنفرد الكلمات باهتمام خاص من علماء اللغة قديما وحديثا، وقد ظل فترة طويلة ينظرون إلى الكلمة في شكلها المكتوب، خاصة فيما يحللونه أو يدرسونه من نصوص لغوية فيما يعرف بفقه اللغة philologie عند الغربيين[23] ثم وجه اللغويون المحدثون اهتمامهم لدارسة المنطوق، فنظروا إلى الكلمة نظرة علمية مجردة تختلف عن وجهة نظر علماء فقه اللغة

.يعد بلوم فيلد "(Bloomfield) من أشهر علماء اللغة المحدثين الذين اهتموا بمفهوم الكلمة وقد عرفها بأنها "أصغر وحدة يمكن النطق بها معزولة ويمكن من خلالها تركيب كلام أو جملا وينبغي أن تحوي مورفيم حرّ على الأقل" [24]

---

21. حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص 24

22. فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950 .ص،16

23.المرجع نفسه،ص16

إنّ هذا التعريف لا يمكن تعميمه على كل اللغات فمثلا في الانجليزية لا يمكن نطق الحرف (a) (the بمفردها، والأمر نفسه في اللغة الفرنسية لا يمكن استعمال الضمير je بمفرده، وكذا في اللغة العربية لا يمكن استعمال حروف الجر وبعض الضمائر بمفردها...، ومن غير المعقول أن يقام حوار بين المتكلمين في أي لغة من اللغات باستعمال الضمائر وحروف الجر وبعض الأدوات النحوية فقط ، بوصفها كلمات وفق تعريف "بلومفيلد"

ويذهب فيرث " Firth" إلى الاعتماد في تعريفه للكلمة على التقابل الاستبدالي، مفاده إذا استبدلنا أصوات ذات صفات مميّزة في الكلمة بغيرها، أو نضيف أصوات ونحذف أخرى يؤدي بنا إلى كلمات جديدة[25] فمثال فمثال في اللغة العربية إذا استبدلنا حرف(القاف) في كلمة (قال)نحصل على كلمة جديدة (جال) أما تعريف ترنكا " Trnka" للكلمة يشبه إلى حد كبير تعريف "فيرث" الكلمة ، حيث يرى أن "عبارة عن وحدة يمكن إدراكها عن طريق الفونيمات phonemes وهي قابلة للإبدال ولها وظيفة دلالية"[26]

ويرى ماتيسيوس " Mathesius"ها الكلمة على أن "أصغر وحدة صوتية متتابعة لا يمكن أن ترتبط بأي وحدات أخرى" [27]

ويقول فاشيك" Vachek" أن الكلمة جزء من الحديث الكلامي له صلة بالواقع الخارج عن اللغة، ويمكن اعتبارها وحدة غير قابلة للتقسيم، ويتغير موضعها بالنسبة لبقية الحدث الكلامي" [28]

وعرّف أنطوان مي" Meillet Antoine" الكلمة بقوله: تحدث الكلمة من ارتباط معنى ما بمجموع ما من الأصوات قابل أن تستعمل استعمالا نحويا ما"[29]

---

25. حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص 19

26. تمام حسان، الأصول، دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو–فقه اللغة– البالغة، عالم الكتب، القاهرة، 2000 ،ص115

27.ستيفن ألمان، دور الكلمة في اللغة ، ترجمة :.كمال بشر، دار غريب ، القاهرة،ص29

28. محمود السعران،علم اللغة العام ، مقدمة للقارئ العربي ، د.محمود السعران , دار الفكر العربي, القاهرة 1999م،ص46.

29. منذر العياشي اللسانيات والدلالة ، الكلمة ، ، ط1،سوريا، 1996م،ص59

وجد علماء اللغة أن هذه التعريفات المختلفة قد أهملت جوانب كثيرة من الخصائص اللغوية وغير اللغوية التي تمتاز بها الكلمة وهي تعريفات لا يمكن أن تطبيقها على كل اللغات، فلكل لغة خصائصها وعبقريتها ، والملاحظ في التعريفات السابقة للكلمة أن أصحابها ركزوا خاصة على الجانب الصوتي والدلالي دون الاهتمام بطبيعة العلاقة بين الصوت والدلالة .

وعلى إثر ذلك ظهرت محاولات أخرى لتحديد مفهوم الكلمة تحديدا علميا ودقيقا، بالابتعاد عن بعض المعايير (الإبدال والتعاقب و الاستقلال والتركيب الفونيمي والجانب غير الفونيمي) لأنه لا يمكن تطبيقها على كل اللغات بالدرجة والطريقة نفسها، ويؤدي تطبيق هذه المعايير إلى تعريف الكلمة خاص بلغة معينة دون تعميمها على اللغات الأخرى؛ أي تعريف نظري يكون جامع مفهوم وماهية الكلمة في كل اللغات وهذا ما يسعى إليه علماء اللغة، لأن الدارسات الافرادية المعاصرة تقدم الكلمة على أنها "وحدة دلالية unité signification تتميز بعدم القدرة على انفصال أجزاءها أو مكوناتها الصوتيّة كما أنها تحدد بإمكاناتها في التعاقب والاستبدال مع الوحدات اللغوية التي تأتي بعدها مباشرة في السلّم الأعلى (سينتاغم أو جملة)، ثم تنظر الدراسة الافرادية بعدها إلى مردود الكلمة الوظيفي"[30] فالكلمة إذا ليست دائما وحدة لغوية جامعة قابلة ، للتوزيع أو التحليل إلى أجزاء مستقلة في كل لغة من اللغات.

وقد اعتمد اللغويون المحدثون، انطلاقا من بحوث أ.مارتيني، مصطلح "مونيم" للتمييز بين المورفيمات المتمثلة في الوحدات الصغرى الحاملة للمعنى والوحدات المعجمية؛ حيث يعد لفظ lexème مصطلح معجمي، بينما يعد لفظ Monème مصطلح نحوي، مثال: درس هي مفردة متمكنة lexème ،تنتمي إلى فئة مفتوحة ومتجددة تمثل قائمة مفردات متن اللغة

6.الكلمة عند المعجمين :

تختلف وجهة نظر علماء المعاجم للكلمة عن وجهة نظر علماء اللغة، حيث يولي علم المعاجم اهتماما خاصا لدراسة الكلمة من حيث المبنى والمعنى بحكم أن مهمة معجم اللغة تكون في بيان وشرح معاني الكلمات، وترتب معظم المعاجم على أساس الكلمات المفردة، لذا كان الأمر غير عصيب لعلماء المعجم في تحديد المعنى النظري للكلمة و ماهيتها من الناحية العلمية، وانطلقوا من مفهوم الكلمة الموجودة ، فقد انطلقوا

30. ابن حويلي الأخضر ميدني، المعجمية العربية في ضوء مناهج البحث اللساني والنظريات التربوية الحديثة، ص 1

.من مفهوم الكلمة الموجودة في أذهان كل شخص، كما يتصورها أي شخص يتحكم في لغته، فهم يرون أن كل إنسان يعرف على الأقل من الناحية العملية ما هي الكلمة، وما هي الجملة، حتى ولو لم يكن في مقدوره وضع تعريف نظري علمي لهما" [31] فالإنسان لا يعرف شيئا عن علم اللغة وإنّما يتحكم في لغته ويفهم معاني الجمل، ويستوعب الكثير من دلالة الألفاظ

31. تمام حسان، الأصول، دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ،ص120